

أحاديث رمضان ١٤٢٥ هـ - ومضات ولقطات إيمانية - الدرس (٢٢-٦٤) : حكم من قصة سيدنا يوسف

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٥-١٠-٢٠٠٤

بسم الله الرحمن الرحيم

### قصة سيدنا يوسف :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .  
أيها الإخوة الكرام ؛ الكلام إما أن يسلك طريقاً مباشراً ، وإما أن يسلك طريقاً غير مباشر ، من الطرق غير المباشرة القصة .  
القصة تعرض فكرة ، ولكن لا بشكل مباشر ، بل عن طريق شخصيات وأحداث وبدائية ، وعقدة ، ونهاية ، وتحليل ، وسرد ، ووصف .

الحقيقة أن قصة سيدنا يوسف أطول قصة في القرآن الكريم ، لكن بطولته المؤمن أن يضع يده على مغزى القصة ، الذي يقرأ قصة ، ولا يبحث عن الفكرة التي يعبر عنها فكأنه ما قرأ قصة ، الأفكار في هذه القصة عرضت على شكل حوادث ، وعلى شكل تحليل ، وعلى شكل بداية ، وعقدة ، ونهاية .  
والحقيقة أنه قلما تجد قصة ذكر بها



المغزى مباشرةً ، لكن الله سبحانه وتعالى قال :

( وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ )

[ سورة يوسف الآية : ٢١ ]

يقول الله عز وجل في الحديث القدسي :

(( أنت تريد وأنا أريد ، فإذا سلمت لي فيما أريد كفيته ما تريد ، وإن لم تسلم لي فيما أريد أتعبتك

فيما تريد ، ثم لا يكون إلا ما أريد ))

[ الحكيم الترمذي في نوادر الأصول ]

فإخوة يوسف أقوياء ، وقد مكروا به ، ووضعوه في غياب الجب ليتخلصوا منه

( وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ )

[ سورة يوسف الآية : ٢١ ]

صار عزيز مصر ، الذين عارضوا النبي عليه الصلاة والسلام هم في مزبلة التاريخ ، والصحابة الكرام الفقراء الذين وقفوا معه أعلام في الدنيا والآخرة .

### المغزى من القصة :

المغزى الأول :

أول مغزى في هذه القصة أنه مستحيل أن تطيعه وتخسر ، وأن تعصيه وتربح .

المغزى الثاني :

أن الله سبحانه وتعالى أودع في الإنسان الشهوات ، وبإمكانه أن يمارس هذه الشهوات بكل حرية وطلاقة ، ولكن الله سمح له بكل شهوة بحيز عند الله مقبول ، وما سوى هذا الحيز مرفوض .

حينما يضبط الإنسان شهوته وفق منهج الله يستحق من الله التكريم ، الآن الله عز وجل يكرمه بسعادة تفوق ملايين المرات عن اللذة التي كاد أن يحصلها من شهوة محرمة .

لذلك إن لم تقل وأنت مطيع لله عز وجل : أنا أسعد الناس ففي إيمانك خلل .

( وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ )

[ سورة القصص الآية : ٥٠ ]

المعنى المخالف لو أنك اتبعت هواك وفق هدى الله عز وجل لا شيء عليك إطلاقاً ، فسيدنا يوسف كان شاباً في ريعان الشباب ، وكان عبداً ، وهناك أكثر من عشر أسباب تدعوه إلى أن يقترب المعصية ، أولاً غريب ، وثانياً التي دعوته إلى الفاحشة سيدته ، وليس من صالحها أن تفضحه ، وهو أعزب ، ووسيم .



في كتب التفسير كلام طويل حول الأسباب التي يمكن أن تكون مخففة له لو اقترب الفاحشة ، ومع ذلك قال :

( قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ

إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ )

[ سورة يوسف الآية : ٢٣ ]

جعله الله عزيز مصر ، لذلك يروى أن جارياً في القصر تعرفه عبداً مملوكاً ، ثم رآته عزيز مصر ، فقالت : سبحان

من جعل العبيد ملوكاً بطاعته ! لذلك الله عز وجل يقول :

( وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ )

[ سورة الشرح الآية : ٤ ]

هذه الآية في ظاهرها موجهة إلى النبي عليه الصلاة والسلام ، ولكن في حقيقتها هي لكل مؤمن ، كل مؤمن يؤثر طاعة الله برفع له ذكره .

الشيء الثاني : أن المؤمن ولاسيما الشاب حينما يجعل قدوته هذا النبي الكريم الذي تميز بالعفة ، ماذا قال سيدنا جعفر عن رسول الله للنجاشي ؟ قال له :

**(( حتى بعث الله فينا رجلاً نعرف صدقه وأمانته وعفافه ))**

[أحمد عن أم سلمة]

وكان هذه الكلمات الثلاث أركان الخلق الكريم ، صادق إذا تحدث ، أمين إذا عاملته ، عفيف إذا استثيرت شهوته .

الآن إذا تتبعت ما ينشر في الصحف في العالم كله من فضائح ، كل هذه الفضائح تندرج في بابين ، فضيحة مالية أو فضيحة جنسية .

### الشهوة وهوامش الأمان :

فهذا النبي الكريم هو قدوة لكل شاب ، لكن هذه الشهوة لا يمكن أن تنجو منها إلا إذا جعلت بينك وبينها هامش أمان .

فغض البصر هامش أمان .

وعدم الخلوة بامرأة أجنبية هامش أمان .

وعدم صحبة الأراذل هامش أمان .

وعدم مطالعة الأدب الإباحي هامش أمان .

من هنا قال الله عز وجل :

**( وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا )**

[سورة الإسراء الآية : ٣٢]

لم يقل : لا تزنوا ، قال :

**( وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَا )**

إنك إذا تخطيت هامش الأمان جرتك هذه الشهوة إلى نهايتها دون أن تشعر ، وما من إنسان تلبس بفاحشة الزنا إلا وكان يعتقد أنه لم يصل إلى ما وصل إليه ، ولكنها سلسلة ، فالشريف من يهرب من أسباب الخطيئة .

أيها الإخوة الكرام ؛ هناك شهوة ينتج عنها لذة ، وهناك اتصال بالله ينتج عنه سعادة ، اسمحوا لي أن أوازن بين اللذة والسعادة .



اللذة حسية قد تأتي من طعام شهبي

اللذة حسية ، تأتيك من الخارج ، من طعام ، من شراب ، من بيت ، من امرأة ، اللذة متناقصة لا يمكن أن تمدك اللذة بشعور مريح مستمر ، واللذة التي تمارس إن كانت بخلاف منهج الله تنتهي

بكآبة .

لذلك أيها الإخوة ، المرض الأول في العالم هو الكآبة ، إنهم متفلقون ، يفعلون ما يروق لهم ، لكن العقاب الإلهي المعجل تلك الكآبة ، قال تعالى :

( وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى )

[ سورة طه الآية : ١٢٤ ]



اللذة التي تأتي من معصية تورث كآبة

أما هذا الذي يغض بصره ، ويضبط شهوته مع من سمح الله بها ، هي زوجته ويكتفي بزوجه ، ولا ينظر :  
( إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ )

[ سورة طه الآية : ١٣١ ]

ويرضى بإكرام الله له من خلال هذه الزوجة ، الله عز وجل يذيقه سعادة من نوع آخر .

فالشهوة واللذة حسية تأتيك من الخارج ، لا يمكن أن تمدك بسعادة مستمرة ، إن كانت خلاف المنهج تعقبها كآبة .

والمشكلة أيها الإخوة أن اللذات من أجل أن تصل إلى المتعة فيها أنت بحاجة ماسة إلى شروط  
ثلاثة:

إلى وقت ، وإلى مال ، وإلى صحة .

ولحكمة أرادها الله أن هذه الشروط لا يمكن أن تجتمع في إنسان ، ففي البداية شاب في ريعان  
الشباب عنده صحة جيدة ، وعنده وقت مديد ، لكن ليس معه مال يعينه على اقتناص الشهوات ، في  
مرحلة أخرى أسس عملاً ، وعنده صحة ، وعنده مال ، لكن ليس عنده وقت ليحقق هذه الشهوات ،  
في خريف العمر عنده مال ، وعنده وقت لكن ليس عنده صحة ، أما السعادة :

أولاً : تتبع من الداخل ، ولا تحتاج إلى  
شروط خارجية ، حينما تتعقد مع الله  
صلة محكمة تشعر أنك ملكة الدنيا ،  
تتبع من  
الداخل ، والسعادة الناتجة عن اتصالك  
بإله عز وجل مستمرة من بداية الحياة  
إلى نهايتها ، لذلك ، لا يحزن قارئ  
القرآن .



ما دمت تقبل على الله ، وتذوق من الله

حلاوة القرب فأنت في سعادة ولو كنت في أسوأ ظرف ، قد تسعد بالسكينة ، وقد حرمت معها كل  
شيء ، وقد تشقى بفقدائها ، وقد ملكت الدنيا من أطرافها ، هذه حقائق أيها الإخوة ، نحن حينما نقرأ  
هذه السورة يجب أن نعرف أن الشهوة إن ترفعت عن جانبها المحرم عوضك الله قريباً وسعادةً  
وتوفيقاً لا حدود له .

والشيء الدقيق أن الله تعالى قال :

**( وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ )**

[ سورة يوسف الآية : ٥٢ ]

هذا قانون ، مستحيل لإنسان يخون ويحقق أهدافه بالخيانة ، لا بد من أن يفتضح .

**( وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ )**

[ سورة يوسف الآية : ٥٢ ]



الشيء الثاني : أن تفاصيل الحياة وضع في جب .

( وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى

دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غَلَامٌ )

[ سورة يوسف الآية : ١٩ ]

أخذ إلى القصر ، امتحن من امرأة العزيز ، نجح بالامتحان ، دخل السجن .

مرة أيها الإخوة أحد إخواننا الكرام دخل السجن ، من حقه علي أن أزوره في

السجن كي أطمئنه ، وكي أرفع من معنوياته ، لأنني على يقين قطعي أنه بريء ، لكن هناك خطأ طفيف جداً أودى به إلى السجن ، لما دخلت ماذا أقول له ، قلت له : إن نبياً كريماً أدخله الله السجن ليكون تسلياً لكل مؤمن دخل السجن ظلماً ، الله عز وجل جعل الأنبياء بالتعبير الشائع كبش فداء ، سيدنا يوسف سُجن ، وسيدنا نوح ابنه كان كافراً ، وسيدنا لوط زوجته كافرة ، وسيدنا إبراهيم أبوه كافر ، ونبي كان عقيماً ، ونبي كان مريضاً ، فكل ما يطرأ على الإنسان من ظروف تمثلت بالأنبياء ليكونوا قدوة لنا .

أنا الذي أرجوه أن تكون هذه السورة منهجاً للشباب .

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

(( إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَعْجَبُ مِنَ الشَّابِّ لَيْسَتْ لَهُ صَبُوءَةٌ ))

[ أحمد في المسند ]

(( إن الله تعالى يباهي بالشباب العابد الملائكة ، يقول : انظروا إلى عبدي ، ترك شهوته من

أجلي ))

[ ابن السني ، والديلمي في مسند الفردوس عن طلحة ]

لكن أنصح الشباب بغض البصر ، أنصح الشباب بعدم الخلوة مع فتاة لا يحل له أن يخلو بها ، ألا يصحب الأراذل ، ألا يطالع أدياً مكشوفاً ، ألا يتابع مسلسلاً فاضحاً ، يجب أن يبتعد عن أسباب الفاحشة ، عندئذ يتولى الله حفظه فهو في مظلة الله .

والحمد لله رب العالمين